مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 15 (2011) : 118 - 135
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط

مزاحم علاوي محمد ألشاهري
جمهورية العراق محافظة نينوى جامعة لاهاي الدولية

بقيت الصحراء مكونا له شخصيته المستقلة في مدونات مؤرخي وبلداني المغرب على الرغم من قلة المعلومات الواردة في تلك المصادر، وتأسيسا على هذه المصادر وغيرها يهدف البحث إلى قراءة تلك المادة التاريخية من اجل أبراز ما نهدف إليه في الحديث عن حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، في محاولة الكشف عن دور إنسانها في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

أولا: البيئة والسكان:

لابد من تسليط الضوء على المعالم الجغرافية للصحراء الكبرى، فهي ارض واسعة تمتد من سواحل المحيط غرباً حتى حدود سودان النيل في الشرق أي لمسافة تقدر بـ 4000 كم، وإنها تمتد لمسافة 1500 كم مابين الشمال والجنوب، وهي اكبر صحراء في العالم تبلغ مساحتها مايقرب من ثلاثة ملايين ميل مربع(1).

تشتمل الصحراء على الهضاب والكثبان الرملية والواحات وتنمو فيها بعض النباتات ذات البيئة الصحراوية، وتسقط الأمطار في بعض جهاتها بقدر ضئيل مما يتيح لسكانها حياة بدوية قائمة على التنقل والترحال، وعدت تلك المناطق شبه صحراوية وبخاصة عند مجابات المياه، حيث أصبحت مناطق مأهولة يتواجد فيها التجار كي تساعدهم على التنقل نحو مناطق أخرى تتوفر فيها واحات المياه الأمر الذي مكنهم من قطع الصحراء والتنقل فيها صوب المناطق التي يقصدونها (2).

إن من ابرز المعالم التضاريسية في المغرب العرق الذي يمتد جنوب سلسة الأطلسي والذي يمثل حدود المغرب جهة القبلة والجنوب، والذي يبدأ من المحيط ذاهبا باتجاه الشرق إلى مصر، تتخلله في جهة المغرب الأوسط ارض صخرية تعرف بـ " الحمادة "(3) ومابين العراق وسلسة الأطلسي صحارى شاسعة تتخللها الواحات الخضراء المتوفرة على مياه كافية لقيام نشاط زراعي مما جعلها تشتهر فعلاً ببلاد الجريد (4).

تمتد الصحراء من ليبيا شرقا حتى المغرب الأقصى وموريتانيا غرباً، حدها الشمالي يمتد على السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية من أغادير على المحيط حتى الخليج قابس مارة بواحات فجيج والاغواط وبسكرة وقفصه حتى خليج سرت على مياه البحر المتوسط، تشغل الجبال مساحات قليلة من سطحها مثل مرتفعات تبستي – في ليبيا الجزء الشمالي والباقي في تشاد – والهوقار التي يتجاوز ارتفاع بعض قممها **3000** م مثل جبل تهات، كما تمتد المرتفعات في وسط موريتانيا وتعرف بالادرار وكذلك في ليبيا مثل الجبل الأخضر وجبل نفوسه، أما الهضاب فتحتل الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية كما توجد هضاب الحمادة في ليبيا، وهناك هضاب أكثر ارتفاعاً منها هضاب تاسيلي – أكثر من **2000** م– التي تقطع سطحها بواسطة الأودية العميقة، كما تشغل السهول والمنخفضات مساحات شاسعة منها وتشمل المظاهر الطبيعية كسهول الرق التي هي خالية من مظاهر الحياة ولكنها صالحة للمواصلات ثم العرق مثل عرق مرزق بليبيا، والعرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير بالجزائر، كما تمتد الكثبان الرملية في جهات عديدة من موريتانيا، وقد تصبح الكثبان على شكل أشرطة متوازية تتخللها معابر تجعل العبور والسير ممكنا، كما تلتقي الأشرطة الكثبانية وينشأ عنها أهرامات رملية عالية تدعى بالغرود، وهذه المناطق يحبذها الرعاة الرحل لان الرمال تسمح بتسرب مياه الإمطار[(5)].

أما السمة الغالبة على مناخها فهو المناخ الصحراوي الحار اي المداري الجاف الذي يتسم بقلة الأمطار بل وبانعدامها أحيانا، وهو ما ينعكس على قلة الغطاء النباتي فيها، ألأمر الذي ابن خلدون إلى تبيان الاختلاف القائم بين المناخين اللذين سادا موطنه علاوة على التدرج الواقع بينهما، فهو يحدد نمطين يصف الأول منهما ب "مزاج التلول" والثاني ب"مزاج الصحراء" ويعني بالأول مناخ البحر المتوسط ويقصد بالثاني المناخ المداري الجاف ممثلاً بالمنطقة التي تضم السفوح الجنوبية لجبال الأطلس وبلاد الجريد والعرق، وبطبيعة الحال فان ذلك الوصف يأخذ بعين الاعتبار هواء الرقعتين وماءها ونباتها[(6)].

فضلاً عن ذلك فان جريان الأنهار المتجهة جنوباً إلى الصحراء قد أسهم في قيام الواحات التي أصبحت تجمعات سكانية كما هي الحال عند نهر غير الذي قامت حوله قصور كوركلان وتسابيت وتيكورارين اذ بلغت تلك القصور حول كل نهر اكثر من ثلاثمائة[(7)]وقد شجعت تلك القصور الكثير من التجار على الاستقرار بوصفها بوابات لدخول بلاد السودان كواركلان الذي كان في العصر الوسيط بابا لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان، كما أن تلك العصور أصبحت مراكز منتجة للفواكه وغيرها حتى باتت مصدراً للسودان، قال ابن خلدون " فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب..."[(8)] .

أما على صعيد السكان، فقد عرف من ينتقل بين الهضاب والصحراء بحثا عن مصادر العيش لهم ولماشيتهم بـ" أهل الوبر" تميزاً لهم عن من استقر بالسهول والجبال الذين عرفوا بـ " أهل المدر" [(9)] .

وتؤكد المصادر التاريخية إلى استقرار الملثمين من صنهاجة الصحراء فسكنت قبيلة جدالة ولمتونه ووريكة غرب السوس الاقصى في حين استقرت مسوفة في صحراء المغرب الاوسط بجانب لمطة الواقعة في الصحراء حيث احترفت مهنة الرعي يقول ابن خلدون: "وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وافريقية"[(10)]، وقد حدد موطنها مارمول بالمنطقة التي "تبتدئ غرباً عند صحراء أكيدي وتمتد شرقاً إلى صحراء برودة وشمالاً إلى إقليم تكورت ووركلان وغدامس جنوباًالى صحراء كانو التي هي إحدى مسالك بلاد السود" [(11)] .

أما قبيلة تاوكا فقد استقرت في صحراء افريقية أي في كل مواطن الصحراء الممتدة إلى النيل شرقاً، وعلى العموم فقد ظل الملثمون – أولاد لمت وجداله ولمط وسطوف "ظواعن في الصحراء، رحالة لايطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون إليها ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين مابين بلاد السودان وبلاد الإسلام"[(12)] ومن جانب أخر فقد تحكم في انتقال تلك القبائل الصنهاجيه من حماها عوامل كثيرة أبرزها تزايد أعدادها مما دفعها للبحث عن موارد جديدة للعيش، وقد اتجهت إلى الشمال نحو الأراضي الخصبة ولهذا نرى بان صنهاجة الجنوب كانت قد اتجهت إلى إقليم الواحات وانتزعته من زنانة، بينما انتشرت صنهاجه الصحراء بين العرق – أطلس الصحراء – وبلاد السودان[(13)]، لقد استوطنت القبائل الصنهاجية في هضاب معلومة، فقد استوطنت قبيلتا لمطة وجزوله المنطقة من جبال درن حتى وادي نول القريبة من المحيط الاطلسي، بينما اتخذت لمتونة مدينة كالدم[(14)] ومنها ملوكها وامتدت شرقاً حتى الطريق الموصل بين غانة وسجلماسة[(15)] مصب نهر السنغال متخذة مدينة اوليك[(16)] مركزاً لها، وهي قريبة الى غانة وقريبة من اودغست وطريق سجلماسة وهي اقرب الى بلاد السودان اما مسوفة فتمتد مضاربها في منطقة قاحلة مجدبة، حيث تقع بين سجلماسة في الشمال واودغست في الجنوب، وكانت بعض بطونها تتوغل شرقا حتى تصل الى تاد مكة وكوكو[(17)].

يقول البكري: "وأهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب من بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن ... ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطب والقولي وغير ذلك، وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصاً اصفر وسراويل زرقاء ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة .... فان أردت من تاد مكة إلى القيروان فانك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان .... ومنها إلى قسطيلية أربعة عشر يوما ومن قسطيلية إلى القيروان سبعة أيام"[(18)].

أما أصل تلك القبائل فتنحدر من صنهاجة التي تنقسم بدورها كما يذكر ابن أبي زرع إلى

"سبعين قبيلة، وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى، وهذه القبائل كلها صحراوية، حوز بلادهم في القبلة مسيرة سبعة أشهر طولاً ومسيرة أربعة عشر عرضاً، من نول لمطة إلى قبلة القيروان ومن بلاد افريقية وهي مابين بلاد البربر وبلاد السودان"(19).

أما حرفتهم فتقوم على الرعي وتربية الأنعام، لايعرفون الزراعة، ولا يستقرون في مكان، عيشتهم على اللحم واللبن، وقد يقيم احدهم عمره لاياكل خبزاً حتى يمر به تاجر فيقدم له الخبز والدقيق(20).

خضعت تلك القبائل منذ القرن الثاني للهجره – الثامن للميلاد لحكم تيلوتان بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني وأحفاده، وكان هذا الرجل قد ملك الصحراء كلها وان له كما يذكر ابن ابي زرع "أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان، كلهم يؤدون له الجزية، وكان عمله مسيرة ثلاثة اشهر في مثلها "ثم افترق امر وحدتهم بعد ان توارث الحكم احفاده وبمقتل حفيده تميم بن الاثير سنة **306**هـ – **918**م، ولم يجتمعوا على احد بعده، فاختلفت كلمتهم، وتفرقت أهواءهم مدة من مئة وعشرين سنة إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني، ثم قتل فقام بالأمر بعده حمره يحيى بن إبراهيم الجدالي(21).

لقد اكتسب أهل الصحراء صفة اللثام سنة ملازمة لهم يقول البكري: "وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لايبدو منه إلا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولاحميمه إلا إذا تنقب وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع جلودهم وهم يسمون من هو يعاد عليه القناع، وصار ذلك لهم الزم من جلودهم وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس أفواه الذبان بلغتهم"(22).

ومن جانب آخر فقد آثرت تلك القبائل حياة القفر وفضلوها على أية حياة أخرى حيث "اصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتادوا منها بألبان الأنعام ولحومها، انتباذاً عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشاً بالعز عن الغلبة، والقهر"(23).

أما ألبستهم فقد غلبت عليهم أكسية الصوف تساءا ورجالاً ويضع الرجال على رؤوسهم عمائم الصوف المسماة بالكرازي، وهم أصحاب ابل ونجب عتاق ورحاله(24).

بقي أن نذكر شيئا عن استقرار القبائل العربية التي دخلت المغرب في القرن الخامس للهجره – الحادي عشر للميلاد والمعروفة في التاريخ بـ "الهلالية" وقد أخذت تلك الهجرة هذه الصفة لان قبائل بني هلال كانت أولى القبائل التي دخلت المغرب في ذلك الوقت(25)، ولقد قدر بعض الباحثين عدد تلك القبائل وقت دخولهم بأرقام تتراوح بين المليون والمائتي ألف(26)، فضلا عن البطون التي كانت قد نقلت منهم منذ عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة

555هـ – 1160 م إذ نقل ألف أسرة من كل قبيلة[27]، وصفهم ابن صاحب الصلاة بقوله: "وقد استاف في اتباعه من العرب بني رياح وبني حشم وبني عدي وقبائلهم مايضيق بهم الفضا على عدد الذباب وعدد الحصى" [28].

كانت القبائل القيسية تمثل الغالبية في الموجة الأولى من الهجرة الهلالية وخاصة من بني هلال ومنهم زغبة ورياح والاثبج وعدي[29] بينما شكل بنو سليم العدد الأهم في الموجة الثانية والمشتملة على بطون زغب وهيب وعوف وذياب ودواحه وعميره وغيرهم من القبائل القيسية الاخرى مثل فزاره والاشجع من غطفان وبنو حشم وسلول من هوازن، بنو عدوان بن عمر بن قيس عيلان وبنو طرود بن قيس عيلان، كما جاء من القحطانين افراد مع بني هلال في الهجرة الاولى وكان المعقل فرعهم الرئيسي[30].

وما يهمنا هو ماورد من إشارات تاريخية بشان استقرار تلك القبائل بجوار الصحراء، فقد انتشر من قبائل بني الاثبج مثل بني دريد في المناطق الواقعة بين قسنطينة وبونة في جزئها المحاذي للصحراء[31]، كما استقرت قبائل بني قرة في الأجزاء الشرقية من جبل أوراس المجاور للصحراء[32].

وشهدت صحارى جنوبي برقة وطرابلس تدفق أعداد كبيره من بني سليم وهلال، فقد اشر الإدريسي استقرارهم في صحارى ودان وفزان ومن ذلك كلامه عن مدينتي أوجله وزويله الواقعة في الحافات الجنوبية لصحراء فزان[33]، وهو ما أكده ابن خلدون عندما أشار إلى مناطق استقرارهم مع بربر صحراء فزان قبيلة لمطة[34].

فعلى صعيد المغرب الأوسط توغلت قبائل زغبة مثل بني عامر وبني مالك وبني عروة جنوباً في صحرائه مجاورة قبيلة مسوفة الصنهاجية التي كانت تمتد في مواطنها الى سجلماسة[35].

أما على صعيد المغرب الأقصى فان انتشار واستقرار القبائل العربية قد جرى في القرن السادس للهجرة /الثاني عشر للميلاد بعد ان قام الموحدون بنقلهم وخاصة من بني هلال وهم رياح ومرة وجذام[36]، بينما استقرت قبائل المعقل في الحافات الشمالية للصحراء يقول ابن خلدون: "ونزلوا أي المعقل مما يلي ملوية ورمال تافيلات وجاوروا زنانة في القفار الغربية فعفوا وكثروا وابتنوا في صحارى المغرب الأقصى فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه[37].

واشتهر من بطون المعقل في السوس ثلاثة بطونهم منصور[38] ومواطنهم في تاوريرت إلى درعه فملكوا ملوية كلها إلى سجلماسة ودرعة وما يحاذيها من التل، وحسان ومواطنهم بنواحي ملوية إلى المحيط وكانوا ينزلون إلى بلاد نول – قاعدة السوس – وقد تغلبوا على القصور الواقعة فيها مثل تارداود في السوس حيث ينتجعون مواطن الملثمين من جدالة ومسوفة ولمتونة، أما البطن الثالث منهم بنو عبيد الله ومواطنهم مابين تلمسان الى وجدة الى مصب وادي ملوية في

البحر ومنبع وادي زا(صا)في الجنوب وتنتهي رحلتهم في القفار الى قصور توات وتمنطيت وربما عادوا شمالاً إلى تاسابيت وتيكورارين (كورارة) وهذه كلها "رقاب السفر إلى بلاد السودان"(39).

لقد نالت قبيلة المعقل في ظل الحكم الزناتي قصور الصحراء مثل قصور السوس وتوات وبودة وتمنطيت وورقلة وتاسابيت وتيكورارين (كورارة) وكل قصر منها على حد قول ابن خلدون: "وطن منفرد يشتمل على عدة قصور ذات نخيل وانهار"(40).

ومهما يكن من أمر فقد قدر لهذه القبائل الصنهاجية أن تلعب دورا مهما في نشر الإسلام في الصحراء حتى جنوبها يقول ابن أبي زرع: "وسار الأمير ابوبكر بن عمر اللمتوني إلى الصحراء فهدنها وسكن أحوالها، وجمع جيوشا كثيرة وخرج إلى بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر وغلب أيضا يوسف بن تاشفين على أكثر بلاد المغرب واستوثق أمره به"(41)

ثانيا:– تجارة الصحراء

شهد ت الصحراء اشتراك أكثر من شخص في إدارة تجارة من التجارات كما هو الحال بالنسبةلاسرة الفقيه محمد بن احمد المقري قاضي الجماعة بفاس، فقد جاء عن أسرته أنهم خمسة أخوة اشتركوا في تجارة مع بلاد السودان فاستقر اثنان منهم في تلمسان وآخر بسجلماسة وتولى الاثنان الباقيان مايتعلق بتجارتهم في مدينة ايو الاتن وقد كانوا يتشاورون في أمور البضائع ويتولى من يسكن تلمسان إرسال البضائع إلى السودان، فيقدر أسعارها السجلماسي ويكون على رأي ابن الخطيب: "لسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التجارة وأخبار البلدان"(42).

كانت التجارة سبباً في ثراء البعض ممن كانوا يتحملون المخاطر من اجل توفير بعض السلع اعتماداً على اختلاف الأسعار بين البلدين لأسباب يذكر ابن خلدون بعضها بقوله: "نجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان ارفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش...(43).

كانت للنشاط التجاري للمغرب شبكة من المسالك البرية التي ترتبط بها مع المسالك المجاورة ومنها المسالك المارة ببلاد السودان الغربي ونستطيع القول أن المسالك الذي كان رائجاً ومستخدماً لدى القوافل التجارية في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي –كان يبدأ من سجلماسة آخر المدن ثم تغازة وايوالاتن التي تعد أول أراضي السودان الغربي(44) وكان ابن بطوطة قد سلكه ثم اخذ طريقاً آخر عند عودته بالانطلاق من بودا التي تعد اكبر قصور توات حيث منطقة غات – المكان الذي تتجه منه القوافل إلى الديار المصرية – متجهاً نحو مدينة سجلماسة (45).

ومما يسجله ابن خلدون عن محطات تلك المسالك ان قصر تمنطيت هو آخر قصور توات قبلة سجلماسة كان محط انطلاق التجارة بعد أن ترك التجار قصر بودا الواقع أقصى الغرب من جهة السوس بسبب عبث القبائل هناك واعتراضهم للمسافرين(46)، ويذكر العمري منطقة تابليلت(47) بعد سلجماسة باتجاه ايوالاتن(48)، والواقع أن هذا المسلك ظل حتى نهاية القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي – طريقاً مسلوكاً(49)، بعد ان كان مسالك سجلماسة –نول–اوليل وسجلماسة –اودغشت– غانة منعشاً في ظل إمبراطورية غانة(50)، أما الطرق الأخرى التي تربط المغرب بجنوب الصحراء فهي:

1- الطريق الذي يبدأ من ورجله ثم إلى واحة توات فتغازة فولاته ومنها طريق يربط اودغست وتمبكتو ثم الى مناطق ذهب وانجاره.

2- طريق آخر يبدأ من ورجله – فزان– غات– هجار – تادمكه ومنها طريق يربط بين غاؤ وتمبكتو، كما يتفرع من فزان الى مناطق بحيره تشاد الحالية حيث ممالك الكانم طريق الى دارفور – مصر(51).

3- طريق ثالث يبدأ من طرابلس ثم إلى فزان حيث يلتقي مع الطريق الذي يبدأ من برمة، ثم يستمر حتى يصل إلى شمال بحيرة تشاد حيث دولة البرنو وكانم(52).

وزيادة على ذلك فهناك طرق صحراوية تربط بين شرق افريقيا وجنوبها ومنها الطريق الذي يبدأ من واحات مصر الغربية ثم إلى زويلة ومنها يتفرع إلى فرعين الأول يذهب إلى تشاد والثاني وهو المهم حيث يتجه إلى حوض نهر النيجر حيث مراكز الذهب، وهناك آخر هو درب الأربعين الذي يربط عدد من الواحات والمدن الواقعة بين مصر وتشاد(53)، ولعل الرواية التي أوردها ابن خلدون عن إحدى القوافل مايشير إلى نشاط الحركة التجارية مع تحفظنا على الرغم الذي أورده فقد ذكر أن قافلة تجارية عن طريق قصر تكرت "القريب من بسكره"، "قدرت جمالها باثني عشر ألف جملاً"(54).

بقي أن نذكر من الطرق الصحراوية التي سلكها سكان الصحراء نحو المشرق هو الطريق الذي ينطلق من غرب الصحراء اي من درعه وأطرافها نحو الديار المصرية، حيث اتخذوا قصور الصحراء محطات لراحتهم، فقد ذكر ابن مليح في رحلته الركب الحجازي الذي مر ببلاد درعه ماراً بالدوره ثم ببير أبي العظام قريباً من تابلبات ثم دخل أراضي توات إلى اكشطن وهي آخر توات ثم قطعوا مراحل في بلاد تديكلت حتى وصلوا بلاد سردلس قريبا من فزان حيث التقى مع الركب القادم من فاس ويضيف ابن مليح "ان عدد المراحل من مراكش الى مزكيطة احد ى عشرة مرحلة، من أول درعة إلى منتهاه عشر مراحل منه لتبلبات عشر مراحل ،من تبلبالت لتوات ثلاث عشرة مرحلة في قرى توات من أولها إلى آخرها خمس مراحل من اخر توات لبلاد فزان ثلاث

وخمسون مرحلة في معمور فزان ثلاث عشرة مرحلة من فزان لوجلة سبع عشرة مرحلة من وجلة لسيوة أربع عشرة مرحلة من سيوة لبحر النيل ست عشرة مرحلة"(55)

وتشير الاكتشافات الحديثة إلى أن الصحراء كانت تسلك بعربات تجرها خيول لتأمين سبل النقل(56)، ثم كانت الإبل وسيلة النقل الأساسية المستخدمة لأنها "ملاك السفر البعيد ومركز مداره"(57)، فضلاً عن رخص ثمنها، ويفيدنا ابن بطوطة بأنه اشترى في رحلته إلى توات جملين بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلث(58)، قد يكون احدهما لحمل الماء كما هو المعمول به في الرحلة إلى بلاد السودان(59)، والمهم أن سعرهما كان رخيصاً قياساً إلى سعر الخيول التي قد يصل سعر الواحد منها مئة مثقال(60)، ومع رخص الإبل فقد كان كراؤها جارياً في بلادهم لاسيما في الرحلة إلى المشرق(61)، بقي أن نذكر أن القوافل التجارية كانت تحتاج إلى الأدلاء الذين لايستغنى عنهم لاسيما في الرحلة إلى بلاد السودان(62)، ونجد أن ظاهرة التكشيف كانت أساسية في الرحلة وقد يصل أجرة العامل فيها نحو مائة مثقال من الذهب(63)، كما أن الرحلة لابد أن تنطلق في فصل الشتاء تخلصاً من العواصف الرملية(64)، فضلاً عن ذلك فقد برزت الحاجة إلى الماء كعنصر مهم لديمومة الحياة فيها، وهذا مادفع الإدريسي غالى تبيان مقدار المسافات بين أماكن التزود بالماء فيها فقال: "يتزود بالماء فيها من يومين إلى أربعة إلى خمسة وستة أيام" وهو ماينطبق على الصحراء "المحصورة بين سجلماسة وتكرور)(65)، ومن جانب آخر فقد ذكر البكري المسافة التي تقع بين بئر وآخر بقوله: "ثم تمشي في الصحراء فنجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل إلى رأس المجابة إلى البئر المسماة تزامت بئر معينة غير عذبة ... وفي الشرق منها بير الجمالين وعلى مقربة منها .... بير ناللي ... وبين هذه الآبار الثلاثة وبلاد الإسلام مسيرة أربعة أيام ومنها إلى جبل يسمى بالبربرية أدراران وتفسيره جبل الحديد ... ومن هذا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية أيام وهي المجابة الكبرى وذلك الماء في بني ينتسر من صنهاجة إلى قرية تسمى مدّوكن لصنهاجه أيضا ومنها إلى مدينة غانة أربعة أيام"(66)، وزيادة على ذلك فان الحاجة إلى الماء دفعت التجار إلى البحث عن مصادر المياه وقيامهم بحفر الآبار تأمينا لحياتهم(67).

لقد ترتب على وجود عنصر الماء التحكم بمواعيد الرحلات فقد باتت المناطق القليلة المياه سبباً في العبور منها في فصل الشتاء فقط، وهو مادفع ابن حوقل إلى تحديد الفصول المناسبة لذلك حيث اعتبر فصل الربيع والخريف انسب الفصول (فيما اعتبر العبور في فصل الصيف مستحيلاً)(68).

تعامل الناس هناك بـ "المقايضة" لاسيما مع تجار بلاد السودان الغربي قال العمري: "يدخل التجار إلى بلاد السودان بالملح والنحاس والودع ويعودون بالذهب(69) "كما وقعت إشارة أخرى عن الملح، حيث يذكر ابن بطوطة، وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة

يقطعونه قطعاً ويتبايعون به"[70].

وتفيد المعلومات المتوفرة بان التاجر على عهد الزناتيين قد تعامل مع السودان الغربي ممثلاً بدولة مالي، فحمل إلى مدنها عدداً من المواد الأساسية التي يجئ في مقدمتها الملح الذي يعد حاجة مهمة لا يمكن الاستغناء عنها، وكانت قيمته تزداد كلما أوغل التاجر في أعماق بلادهم ،وقد جاء أن حمل الملح بايوالاتن يباع ما بين ثمانية إلى عشرة مثاقيل بينما يصل سعره إلى ثلاثين مثقالاً وربما بلغ نحو أربعين مثقالاً في مالي[71] لأنه من المواد المعدومة في بلادهم وعلى هذا الأساس فهم "يبذلون نظير كل صبرة ملح مثلها من الذهب"[72]، وكانت تغازة[73] تعد منجماً حقيقا له ويذكر القزويني أن جل أشغال أهل تغازه هو جمع الملح طوال السنة، بانتظار القوافل التجارية التي تشتريه منهم[74]، وقد قدر البعض أن ما يحصل عليه التاجر من كل حمل من الذهب ماوزنه (760– 1140) غراماً دون تحديد ذلك[75]، علاوة على ذلك فان تغازة – على ما يبدو– ظلت مصدراً اقتصادياً لدول المغرب فقد ذكر أن السلطان احمد المنصور السعدي[76]، فرض خلال حكمه على كل حمل يستخرج منها مثقالاً من الذهب [77]،وزيادة على ذلك قد ذاع صيت بعض المدن المالوية كأسواق لمبادلة الملح بغيره من السلع وبخاصة الذهب، ويأتي في مقدمة تلك المدن مدينة جني[78] التي استقبلت قوافل الملح التي تسمى عندهم بـ "ازلاي" وقدر شاهد عيان عدد الجمال التي تصل إلى بلادهم بين 2000– 3000 جملاً[79].

أما التاجر من بلاد المغرب فكان ينقل بعض المواد الأخرى كالحلي الزجاجية قال ابن بطوطة "والمسافرلايحمل معه إلا قطع الملح وحلي الزجاج"[80]، والتوابل وأنواع الأقمشة والحاجات المعدنية المستخدمة لديهم في حياتهم اليومية من مصنوعات المغرب[81]، وكذلك الودع المستعمل لديهم كزينة يتحلون بها او كعملة يتعاملون بها كما في مدينة كوكو القريبة من تمبكتو، وقد سعر 1150 قطعة من الودع بمثقال من الذهب[82]، وزيادة على ذلك فقد نقل التجار الى بلاد السودان مواداً أخرى كالحبوب حتى قيل ان اغلب قمح السودان وشعيره من المغرب[83]، فضلاً عن قصور الصحراء مثل توات وتيكوراين ووركلان وغيرها من القصور التي عدت مخزناً كبيراً يمد البلاد السودان بالفواكه[84] واللحوم والزيوت والتمور الموجودة في تلك القصور القريبة الى تلك البلاد[85].

أما واردت المغرب منها، فان المعلومات التي وقفنا عليها امتداداً إلى معطيات تلك المدة فتفيد بان المغرب استورد مادة الذهب الذي تناولته مصادرهم باهتمام شديد، فبعضهم قد ميز نوعين من الذهب المجلوب إليهم ووصف احدهما بالبنادق والآخر بأنه يشبه الخزف[86]، بينما تناول الآخر قيمة سجلماسة بوصفها بوابة السودان الغربي ومنطلق قوافله التجارية فقال "أم البلدان المجاورة لحدود السودان "،فتقصدها بالتبر القوافل ...والرفاهية بها فاشية [87].

ومهما يكن من أمر فان البعض قد أورد إحصائيات عن بعض المناجم ،ومنها مناجم ونقارة[88] التي بلغ إنتاجها أكثر من تسعة أطنان سنوياً بعد القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي[89].

وزيادة على ذلك فقد استورد المغرب من بلاد السودان بعض انواع من الجلود والعاج والجوز[90]، ومن منطقة برنو كانوا يجلبون الجواري والفتيان[91]، وعدت منطقة لملم[92] من المناطق الشهيرة في رقيقها الذي يجلبه سكان بلاد التكرور وأهل غانه ويقومون ببيعه لتجار المغرب[93] ومما جاء على لسان ابن بطوطة في أثناء عودته من تكدا انه وجد قافلة فيها ستمائة شخص للبيع، وكانت تلك المدينة من بين مدنهم التي تتفاخر بكثرة خدمها، ورواج سوقهم فيها، وقد اشترى ابن بطوطة منها خادمة بخمسة وعشرين مثقالاً من الذهب[94] وقد أشار مؤلف الاستبصار إلى وجود الشب الأبيض في المنطقة الصحراوية[95]، ونحن لانملك معلومات عن استمرار تلك التجارة وإذا كانت كذلك فلماذا سكتت المصادر عن ذكر تجارة الشب وهو المادة الأساسية في بعض صناعات المغرب المهمة وكذلك الحال لمادة النحاس الذي اشتهرت بعض المناطق في السودان الغربي بانتاجه كمنجم تكدا[96] التي وصفها ابن بطوطة بقوله "وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه"[97]، ويتبين من خلال سير حركة التبادل بين المغرب وبلاد السودان أن التجارة مع دولة مالي كانت من حصة تجار المغرب، ولم نجد مايدل على دخول الجنويين إلى السودان الغربي كما ذهب إلى ذلك بلوك مارك[98]، بل يمكن القول أن النشاط التجاري للمغاربة لو قدر له أن يتراجع لأسهم في عرقلة النشاط التجاري مع حوض البحر المتوسط[99]، إذ أن الوجود المغربي في السودان الغربي كان بارزاً ومن بين نتائجه انتعاش بعض المدن فيه كمدينة تمبكتو التي نمت وأدت دوراً ثقافياً في مالي والفضل أولا يعود إلى أقطار المغرب[100].

ثالثا:– العلاقات الثقافية والدينية والعمرانية:

أما فيما يتعلق بالعلاقات الثقافية والعلمية، فقد كانت الصحراء عنصر تواصل بين المغرب العربي وبلاد السودان، إذ ظلت التأثيرات المغربية بصورة عامة واضحة في بلاد السودان، ولعل عهد منسا موسى الذي تمكن بفضل جهوده من زيادة شهرة دولة مالي محفزا في استقطاب العلماء والفقهاء إلى دولته، وقد أصبحت العاصمة مقصدا للعلماء والفقهاء والتجار المغاربة، فضلا عن غيرهم وفي زيارة ابن بطوطة لها وجد حيا خاصا للعلماء، وكان كبيرا فقهاء مالي هما محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين النقويش المغربي[101].

وكانت المراكز الدينية في السودان الغربي تدار من قبل علماء وفقهاء المغرب[102]، مما أسهم في تنشيط حركة علمية في المدن مثل تنبكتو ومالي وجني وجاو استمرت حتى بعد وفاة

منسا موسى مراكز للثقافة الإسلامية في إفريقيا[103].

كما نجد التأثير المغربي واضحا في الحياة الثقافية هناك من خلال استخدامهم الخط المغربي في مخاطبتهم الرسمية، ولعل كتاب منسا موسى الذي وجهه الى الناصر بن قلاوون شاهد على ما نقول[104]، وان انتشار المذهب المالكي كان واضا على صعيد دولتهم ،ويذكر أن السلطان منسا موسى كان مالكيا وفي حجه الى مكة اشترى عدة كتب في فقه المالكية[105].

ولما كانت مدن المغرب العربي معروفة بريادتها العلمية والدينية على صعيد تلك البلاد كان العلماء الذين يدرسون في السودان الغربي يقصدونها بين الحين والآخر لغرض الاستزادة من علومها ،والالتقاء مع علماء وفقهاء المغرب، ويذكر أن عبد الرحمن التميمي الذي قدم من الحجاز في عهد منسا موسى توجه الى فاس للدراسة بعد أن قضى مدة في تنبكتو يدرس السودانيين العلوم الفقهية ،ثم عاد اليها ثانية[106].

ولم يقتصر التأثير المغربي على صعيد الحياة الثقافية والدينية فحسب، بل كان للمغاربة أثرهم في الحياة العمرانية أيضاً ،فالسلطان منسا موسى استعان بخبرة العالم أبي اسحاق الساحلي[107]، الذي استخدم الطوب المحروق والأصباغ في تشييد قصره وقسم من المساجد المالية[108]، فكان ذلك سببا في تغير طابع العمران بعد أن كانت البلاد المالية تعتمد في بنائها على الطابع البدائي حيث كانت بيوتهم من الطين وسقوفها من الخشب والقصب [109].

الهوامش:

1- ريمون فيزون – الصحراء الكبرى (القاهرة: 1963):19؛ جيمس هوارد ويلارد- الصحراء الكبرى (ليبيا- 1967): 77؛ دريد عبد القادر نوري – تاريخ الاسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، نشر جامعة الموصل (الموصل :1985):25

1- Triming ham,Ahistory of islamin west Africa(London:1963)p.9.

3- حدودها عند ابن خلدون مابين مصاب الى بلاد وريغ، العبر:6/ 100، وزيادة على ذلك فان هناك اكثر من منطقة عرفت بالحمادة ففي شرق سجلماسة تمتد حمادة كير الى الحدود الجزائرية وفي جنوبها حمادة الداورة وفي شمالها ناحية بوذيب التي تتصل بالمغرب الشرقي كما توجد هضاب الحمادة في ليبيا؛ ينظر المعهد التربوي – جغرافية الجزائر :25.

4- مجهول – الاستبصار :150- 160 .

5- المعهد التربوي الوطني – جغرافية الجزائر والمغرب العربي (الجزائر: 1982- 1983)، ص 24- 27.

6- العبر:101/6؛ حسين مؤنس – معالم تاريخ المغرب والأندلس، 1، دار مطابع المستقبل (القاهرة: 1980) ص 21.

7- ابن خلدون – العبر:2 /102 .

8- ابن خلدون- العبر:6/ 51، 405، المقدمة: 1 / 292؛ عبد العزيز ابن عبد الله – الموسوعة المغربية البشرية والحضارية، ط1، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربية (المغرب:1975):1/ 167.

9 – عبد الوهاب بن منصور – قبائل المغرب، المطبعة المكية (الرباط: 1968):1/ 292 – 302.

10- العبر: 203/6.

11- إفريقيا: 1/ 95.

12- مجهول – الحلل الموشية :17؛ ابن خلدون – العبر :6/ 117- 118 .

13- البكري – المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك طبع مكتبة المثنى (بغداد:دت): 164؛ مؤلف مجهول – الحلل الموشية:16 .

14-كالدم مدينة بأقصى المغرب جنوبي البحر متاخمة لبلاد السودان؛ الحموي- معجم البلدان: 431/4.

15- البكري- المغرب :161- 164 ؛ الحميري – الروض المعطار: 28.

16- اودغست: مدينة كبيرة وكانت منزل ملك السودان، بينها وسجلماسة مسيرة شهرين وبينها ومدينة غانة عشر يوما ؛البكري – المغرب: 168؛ الإدريسي – نزهة المشتاق: 1/ 108.

17-كوكو: مدينة مشهورة في بلاد السودان، ملتقى للبحار ؛الحميري – الروض المعطار: 502.

18- المغرب: 181- 182.

[19]– الأنيس المطرب بروض القرطاس، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط:1973): 120.

[20]– الانيس المطرب: 120.

[21]– المصدر نفسه: 120 – 121.

[22]– المغرب 170.

[23]– ابن خلدون – العبر:/ 181– 182.

[24]– الإدريسي – المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، حققه محمد حاج صادق: 74.

[25]– ابن عذاري – البيان المغرب(بيروت :1967) :1/ 228 .

[26]– عبد الحليم عويس – دولة بني حماد، دارا الشروق (القاهره :1980): 177–178.

[27]– ابن ابي زرع – الانيس المطرب: 199.

[28]– تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي (بغداد: 1979) 136 .

[29]– السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد (القاهره :1954)43؛ أبو محمد بن احمد التيجاني، الرحلة (تونس، 1958) 18، صباح ابراهيم الشيخلي – الهلاليون في المغرب – ضوء جديد حول هجرتهم ندوة الوطن العربي النواة والامتدادات غير التاريخ، نشر المجمع العلمي العراقي (بغداد: 2000) 170.

[30]– ابن خلدون – العبر :6/ 36.

[31]– ابن خلدون – العبر :6/ 5.

[32]– ابن عذاري – البيان المغرب :1/ 300.

[33]– الإدريسي – نزهة المشتاق: 132– 133.

[34]– العبر :6 / 284– 286

[35]– ابن خلدون – العبر :6/ 95، 105، 116.

[36]– ابن القطان – نظم الجمان :67؛ ابن خلدون – العبر :26/6، 57،63 ؛احمد بن خالد السلاوي – الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى (الدار البيضاء: 1953):1/ 63 .

[37]– العبر: 6/ 120.

[38]– ينقسمون إلى أولاد بن الحسين نزلوا بين تافيلايت ويتكوراين والأحلاف وهم العمارنة والمنبات ومواطنهم تجاور أولاد حسين من جهة الشرق ومحلاتهم بقفار تافيلايت وصحرائها وبالتل مقصور وطاط وتازة وبطوية وغساسه، ابن خلدون – العبر :6/ 131– 137 .

[39]– ابن خلدون – العبر : 6/ 23– 26 .

[40]– العبر :6/ 120، 199 .

[41]– الانيس المطرب :135.

[42]– الإحاطة ،2/ 191– 193؛ المقري – نفح الطيب :205/5– 206، وكذلك

Bovill,The Golden reade of the Moors.P.98 .

43– المقدمة :3/ 918– 919 .

44– ابن بطوطة – تحفة النظار :674– 677 ؛شوقي عطا الجمل – علاقة المغرب بالاقاليم الصحراوية الواقعة جنوبه، مجلة المناهل العدد الثامن السنة الرابعة (الرباط ،1977):139– 145 الامين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي من كتاب :تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر– معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد :1984):76، وينظر كذلك:

Greehberg.j:The influence of islam on Sudanese Religion ,University of Washington Press(Washington .1966)Second Edition p4 .

45– تحفة النظار:699– 700 ؛ ويصف ابن خلدون منطقة غات "بأنها المفازة المجهلة لايهتدي فيها للسبيل ولايمر الوارد إلا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفز" العبر:7/ 56 .

46– العبر : 7/ 56 .

47– تابليت وتسمى تابلبات هي ارض صالحة للزراعة والرعي ،كثيرة الخصب والمياه ،بينها وبين توات ثلاث عشرة مرحلة ومن جهة درعة عشر مراحل للمزيد ينظر أبو عبدالله محمد بن احمد بن احمد ابن مليح – انس الساري والساري من أقطار المغارب :تحقيق محمد الفاسي – وزارة الدولة (فاس، 1968): 28، 142.

48– مسالك الأبصار:140– 141.

49– للمزيد عن ذلك الطريق ينظر دريد عبد القادر نوري – تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4– 10هـ /10– 16 م، وزارة التعليم العالي (الموصل :1985) :136 .نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية ،ط2، الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع(الجزائر ،بلا) :140– 141< حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ط2،مكتبة النهضة المصرية (القاهرة :1964): 11، محمد فاتحي – أضواء حول بداية السعديين، مجلة تاريخ المغرب ،العدد الرابع، 1984 : 24– 25 .

50– ماجدة كريمي – العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينيين، مجلة دعوة الحق،العدد 269(المحمدية ،1988):255 .

51– Murphy.E.J. History of African civilization ,Thomas.y crowell (newyork:1972) p104،

خليل ابراهيم جاسم – إمبراطورية مالي الإسلامية – دراسة حضارية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاداب (الموصل: 1980):46.

52– يوسف حسن فضل – الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، بحث في ندوة (العرب وإفريقيا) مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: 1984): 39

53– محمد علي ياسين – ذهب إفريقيا جنوب الصحراء، رسالة ماجستير مقدم إلى كلية الآداب (الموصل: 1987):114– 115.

[54]– العبر : 7 / 52 .

[55]– انس الساري والسارب من أقطار المغارب ،مقدمه المحقق،ح– د .ن، 142

[56]– لوفران – جورج – تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحاضر، ترجمة هاشم الحسيني (بيروت: دت) 19، بازل – دافدسون إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال احمد (بيروت: 1963): 118.

[57]– الفشتالي – مناهل الصفا :129؛ كريم – المغرب في عهد الدولة السعدية:158.

[58]– تحفة النظار: 699.

[59]– مارمول – إفريقيا :1/ 49.

[60]– ابن بطوطة – تحفة النظار:691.

[61]– الحضرمي – السلسل العذب :79.

[62]– ابن بطوطة – تحفة النظار :673.

[63]– التكشيف هي الصفة التي ينعت بها كل فرد من قبيلة مسوفة ،فهو يتقدم القافلة كي يصل إلى ايوالاتن، ويجهز لهم الدور فضلا عن استقبال القافلة بالماء في أعماق الصحراء ،وقد يتعرض إلى الموت بسبب المخاطر التي تواجهه في مهمته، ابن بطوطة، تحفة النظار : 675.

[64]– الوزان – وصف إفريقيا: 86.

[65]– صفة المغرب:2.

[66]– المغرب في ذكر بلاد إفريقيا :163– 164.

[67]– احمد بن المقري – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس (بيروت: 1968):5 / 205.

[68]– صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (لبنان :دت):100.

[69]– مسالك الأبصار :140 .

[70]– تحفة النظار :674 .

[71]– ابن بطوطة – تحفة النظار : 674،الأمين – تجارة القوافل : 84– 85 .

[72]– العمري مسالك الأبصار : 76؛ المنجد – مملكة مالي :68– 69.

[73]– تغازة : تقع في شمال مملكة مالي أي أنها تتوسط القفز بين المغرب وبلاد السودان الغربي وفيها معدن الملح الذي يتاجر به إلى بلاد السودان، للمزيد عن ملح تغازه ينظر أبو حامد الغرناطي – تحفة الألباب :42؛الفشتالي – مناهل الصفا :120، يسرى عبد الرزاق الجوهري – شمال افريقية دراسة في الجغرافية التاريخية – دار الجامعات المصرية (القاهرة :1970): 182.

[74]– آثار البلاد وأخبار العباد – دار صادر(بيروت :1960) :26.

[75]– يوسف – الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط: 219 نقلاً عن
bovil ,caravans of old sahara (londan,1935) p.42.

[76]– هو أبو العباس احمد المنصور ،من أشهر سلاطين الدولة السعدية التي قامت بعد انتهاء حكم الدولة المرينية ،ومن أعماله انه توغل في بلاد السودان وقد لقبه بعض الشيوخ بـ "عالم الخلفاء وخليفة الحكماء "للمزيد عنه ينظر احمد علي المنجور، فهرسة احمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار الغرب (الرباط، **1976**) ص **22– 28**، ليفي بروفنسال – مؤرخو الشرفاء: تعريب عبد القادر الخلادي – دار الغرب للتأليف والترجمة (الرباط، **1976**):**78**.

[77]– الاقراني – نزهة الحادي :**88**

[78]– عبد الرحمن بن عبدالله بن عمران السعدي – تاريخ السودان، نشر هوداس (باريس :**1964**): **11– 12**.

[79]– Campell .D.Timbactoa in the muslim World ,Vol 20 ,1930,p.171.Ajayi and Michael crowder History of west Africa ,two Vol Columbea University Press Newyork ,Second Ed.1976)p.14.

[80]– تحفة النظار: **68**.

[81]–كريمي – العلاقات التجارية بين المغرب والسودان :**253**.

[82]– ابن بطوطة – تحفة النظار :**577**، **692– 695**، ويسميه أهل تلك البلاد بـ "كودي " العمري – مسالك الابصار: **71**، ينظر الديهي – عجائب البلدان: الورقة **95** .

[83]– الغربي– بداية الحكم المغربي:**487** .

[84]– ابن خلدون – المقدمة :**1/ 292** .

[85]– ابن بطوطة – تحفة النظار :**674**، **700**، نعيم قداح – إفريقيا الغربية في ظل الإسلام وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة الوحدة العربية (دمشق، بلا): **126– 127**.

[86]– البنادق من – بندق – الحكيم – الدوحة المشتبكة:**31**. وللمزيد عن أوصافه ينظر العمري – مسالك الأبصار :**68** ،التعريف بالمصطلح الشريف:**27**.

[87]– ابن الخطيب – معيار الاختيار :**81** وللمزيد ينظر موريس لومبارد – الذهب الإسلامي من القرن الحادي عشر الميلادي، بحوث في التاريخ الاقتصادي ،ترجمة توفيق اسكندر (القاهرة ،**1961**):**62** وكذلك **Messier,A.Ronald ,The Almoravids in Journdi the economic and Social History of the Orient ,Vol X711,Part ,1,1974p.38 .**

[88]– ظلت منطقة ونقارة مجهولة – ولم يعرف بها لأهميتها كمنجم للذهب، إلا أن الدراسات الحديثة تحددها في المنطقة المحصورة بين المصبات العليا لنهري السنغال و النيجر، ويرى الباحثين ان ونقارة الموصوفة في المصادر العربية هي مناجم منطقة بامبوك وبيور للمزيد ينظر محمد علي ياسين حامد – ذهب افريقيا جنوب الصحراء ودوره في التجارة العربية الاسلامية منذ القرن الرابع حتى القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب (الموصل :**1987**) :**80– 84** ؛ وينظر ابراهيم علي طرخان – إمبراطورية غانه الإسلامية ؛الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر (القاهرة، **1970**) :**68– 71**.

[89]– Robert July,A History of the African People (New York- 1970) p.53.

[90]– ابن الخطيب – الإحاطة :**2/ 191** .

[91]- ابن بطوطة – تحفة النظار : **698** .

[92]- وتعرف كذلك بـ "دمدم" وتعيش هناك القبائل بدائية وقد كانت غانة قبل هذا العهد تحصل عليهم عن طريق الغزوات للمزيد ينظر – المسالك الإسلامية :**111**، زكي – الدول الإسلامية :**85**، اوليفررولند،جون فييج ،موجز تاريخ افريقيا ،ترجمة دولت صادق محمد السيد غلاب – الدار المصرية للتأليف والنشر (القاهرة، بلا):**122** .

[93]- ابن خلدون – المقدمة :**1** / **292**.

[94]- تحفة النظار :**697**– **699** .

[95]- مجهول – الاستبصار في عجائب الأمصار :**255**؛ ادم متز – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي ابي ريدة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة ،**1947**):**2** / **316**.

[96]- تكدا : تقع شرقي النيجر ومن الصعب تحديد موقعها، غير انها عرفت كمركز تجاري مهم بين جاو وايري على طريق الحج عبر الصحراء للمزيد ينظر **Bovill- The Golden Trade of the moors .p.92 .**

[97]- تحفة النظار :**697**– **698**،وللمزيد عن نحاس السودان ينظر العمري – مسالك الأبصار ص**64**– **75**؛ عبد القادر زباديه – مملكة صنغاي في عهد الاسقيين (الجزائر، بلا) :**190**.

[98]- مشكلة الذهب في العصر الوسيط – من بحوث في التاريخ الاقتصادي، ترجمة توفيق اسكندر (القاهره، **1961**):**41** .

[99]- فرنان برودل – من ذهب السودان إلى فضة امريكا /من بحوث في التاريخ الاقتصادي ترجمة توفيق اسكندر (القاهره :**1961**) :**83** ؛ دافد سون بازل – إفريقيا تحت أضواء جديدة: **136**.

[100]- السعدي – تاريخ السودان : **9**، **20**– **21** .

[101]- تحفة النظار:**681**.

[102]- السعدي – تاريخ السودان :**57** .

[103]- طرخان – دولة مالي:**156**.

[104]- القلقشندي – صبح الاعشى :**5** / **298**؛ المنجد – مملكة مالي:**65**.

[105]- المقريزي – الذهب –المسبوك :**112**– **113**.

[106]- السعدي – تاريخ السودان:**51**.

[107]- ابن الخطيب – الكتيبة الكامنة:**235**.

[108]- ابن بطوطة – تحفة النظار :**683**– **684**؛ السعدي – تاريخ السودان:**8**.

[109]- القلقشندي – صبح الاعشى:**5**/ **283**، وللمزيد عن قصر السلطان المالي ينظر –حسن– انتشار الإسلام والعروبة:**63**.